عن الإديولوجيا في الرواية. على أننا نلاحظ أن ما قدمه جورج طرابيشي عن كارل مانهايم عندما لَخَّصَ آراءه في الإديولوجيا، يمكن أن يُقَدَّمَ للقارىء صورة مركزة عن الفكرة التي أردنا أن نعبر عنها بخصوص الكيفية التي تكون فيها الإديولوجيا بمثابة رؤيةٍ للعالم بعيدة عن المصالح وقريبة من مجال البحث المعرفي. ولا ننسى مع ذلك أن جورج طرابيشي كان يقدم أفكار كارل مانهايم بصورة لا تُخْفِي نزعته الانتقادية تجاه أفكار كارل مانهايم نفسه؛ ومع ذلك نرى أنه بالإمكان الاستفادة من أقواله في هذا الصدد، لأن الفكرة التي ينتقدها جورج طرابيشي هي نفسها الفكرة التي نرى أن كارل مانهايم يتميز بها في تحديد طبيعة الإديولوجيا بمعناها الشمولي:

«الإديولوجيات الطبقية في نظر مانهايم، بحكم أنها طبقية لا بد من أن تكون ملطخة بالنزعة الذاتية وبالميل إلى تزوير الوقائع حفاظاً منها على المصالح الأنانية لهذه الطبقة أو تلك. ولكن هل يعني هذا أن علم المجتمع مستحيل؟ إن مانهايم يحاول أن يجد حلاً لهذا الإشكال بنظريته عن المثقف، ذلك «الإنسان الأعلى» الذي يستطيع وحده أن يصل إلى المعرفة الموضوعية لأنه وحده الذي يستطيع أن يتحرر من الانتماء الطبقي، وأن يتعالى على المصالح الخاصة بهذه الطبقة أو تلك، وأن يأخذ بينها موقفاً وسطاً هو موقف الحقيقة، وبعبارة أخرى، إن الفئة الاجتماعية الوحيدة المؤهلة لأن تكون قَيِّمة على الحقيقة هي الأنتلجنسيا، لأنها الفئة الاجتماعية الوحيدة التي تملك القدرة على التحرر من الشرط الاجتماعي للمعرفة، والأنتليجينسيا بحاجة إلى «حرية الطيران» بين الطبقات حتى تستطيع الارتقاء بالمعرفة من المستوى الإديولوجي الذاتي إلى المستوى العلمي الموضوعي»[23].

يتضح لنا أن المفهوم الذي نريد التأكيد عليه بخصوص الإديولوجيا باعتبارها رؤية للعالم، هو ذلك الذي يحتل موقعه بين الإديولوجيات لا في واحدة منها. أي أننا نميز بين تلك الرؤية الشمولية التي تدعيها كل إديولوجيا عن نفسها، وبين رؤية شمولية تنظر إلى الإديولوجيات جميعها باعتبارها موضوعاً قابلاً للتأمل والمقارنة ولاستخراج الخصائص.

وهذا التمييز بين الإديولوجيا ذات البعد السياسي، والإديولوجيا باعتبارها رؤية للعالم، نجده عند بعض الباحثين يأخذ طابعاً واضحاً بحيث يتم وضع الإديولوجيا في جانب المصالح والرؤية إلى العالم في جانب الرؤية الموضوعية، ذلك أنه لا يمكن لأية رؤية تأملية أن تضع نفسها في هذا المستوى إلاّ إذا وقفت من صراع الإديولوجيات وهي متجردة من أي نزعة بركماتية، عندها فقط ستتحول إلى رؤية العالم. وفي الوقت الذي تبني فيه إديولوجيةٌ ما نفسها باعتبارها رؤيةً شمولية للعالم دون أن تتخلى عن هذه النزعة البركماتية، ودون أن تعترف للإديولوجيات الأخرى ببعض ما يوجد فيها من مزايا، فإن

---

(23) جورج طرابيشي: **الماركسية والإديولوجيا**، ص 195.